



عينة من الكتاب

(للتصفح والاطلاع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شيرلوك هولمز

فضيحة في بوهيميا

وثلاث قصص أخرى

تأليف: آرثر كونان دويل

ترجمة: سالي أحمد حمدي

تحرير: رمزي رامز حسون



الأجبال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لأربع من قصص
شيرلوك هولمز المنشورة أول مرة عام ١٨٩١

A Scandal in Bohemia
The Red-Headed League
A Case of Identity
The Boscombe Valley Mystery

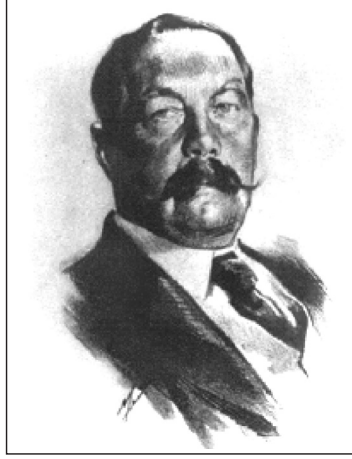
حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا
الكتاب بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو
إلكترونية أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الثانية

٢٠٢٠



آرثر كونان دوويل

وُلد آرثر كونان دوويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في سكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩ ، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجراحُ الشهير الدكتور جوزيف بلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دوويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جراحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرّته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورثسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه

إلى الكتابة أماً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجالات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص، وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري. وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة في اللون القرمزي» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

واحدة من تلك الحوادث كانت عن رجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث بدّل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولما كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى

سكتلندا تغادر محطة كِنغز كروس عند منتصف الليل". وقد
عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس
الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوّهاً
ومحاضراً ناجحاً ومحاوِراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره
المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



عام ١٩٠٠ تطوَّع الدكتور آرثر كونان دويل في حرب البوير (التي دارت في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجراحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقّبها «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

توفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.





شيرلوك هولمز وعالمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهر الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرة مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بلّ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بلّ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومهنتهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرّح من الجيش حديثاً، وقد عدت لتوك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل".

وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من

هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحددها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨، وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (شارع بيكر، ٢٢١ب) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته



وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته وإطلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعدته الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَأيوِيَّةُ القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو، المحقق الشهير الذي ابتكرته أغاثا كريستي). وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وحصل على شهادته الجامعية في الطب سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش وشارك في الحملة الأفغانية، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جُفسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة في اللون القرمزي»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكد يُحسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، هي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصية هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

في السنة التالية بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو) ١٨٩١، فقبولت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشُغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتي عشرة، نُشر

آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «مذكرات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرير عند شلالات رايشنباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة، وعنوانها «المشكلة الأخيرة»، في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على إعادة إحياء شيرلوك هولمز، فأعادته إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الفارغ» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد، فقد تبين أنه لم يُقتل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الفارغ) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شق طريقه بعد ذلك إلى بلاد التبت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كوليزز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقه. واستمر نشر سلسلة

«عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة رواية شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز: الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣. ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥) التي حازت على إعجاب النقاد في كل الأوقات. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومَنسِيَّة ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب غير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من مؤلفات نحو مئة وستين، منها ستون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالم اسمه البروفيسور تشالنجر

(أشهرها رواية «العالم المفقود») ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *



رسم شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسّام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ قصص هولمز منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بلّور صورة شيرلوك هولمز وطبّعها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأ في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الست الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في

عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زينت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسامين آخرين، فشارك في رسم السلسلة الجديدة «ذكريات شيرلوك هولمز: الظهور الأخير» كل من وُلْتَر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وتشارلز هليدي وألك بول وجوزف سمبسون وهنري بروك. أما السلسلة الأخيرة (قضايا شيرلوك هولمز) فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم هوارد إلكوك وفرانك وايلز وألفرد جليبرت.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند». أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليرز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دور ستيل، ومنهم جوزف فريدرتش وريتشارد غوتشمت ووليم هايد.

* * *

مغامرات شيرلوك هولمز

(١)

فضيحة في بوهيميا

نُشرت للمرة الأولى في مجلة «ستراند» الشهرية

في عدد تموز (يوليو) ١٨٩١

كان هولمز يسميها دائماً «المرأة»، ولم أسمعها يذكرها
بأي لقب آخر إلا نادراً، فقد كانت بنظره السيدة التي تتفوق
على سائر النساء.

وما يكن ذلك ليَعني أنه شعر نحو أيرين أدلر بأي مشاعر
تقترب من الحب، فعقله القاسي الدقيق ينفر من كل المشاعر،
ومن الحب على وجه الخصوص، وإن كان متوازناً بشكل
يدعو إلى الإعجاب. لقد كان -حسبما أرى- أعظم آلة شهدها
العالم في الاستنتاج والتحليل المنطقي، ولكن لم يكن له
مكان بين العشاق، فما كان ليتحدث عن المشاعر الرقيقة إلا
بالتهمك والسخرية!

إن مثل هذه المشاعر ذات نفع للباحث المراقب لأنها
تساعده في كشف الستار عن دوافع الإنسان وأفعاله، لكن لو
سمح صاحبُ العقل المنهجي المدرب لمشاعر كهذه بالتأثير
فيه فسوف تصبح كل نتائجه المنطقية عرضة للشك، وهو لو
وجد حبة رمل في إحدى آلاته الحساسة أو عثر على خدش
في إحدى عدساته القوية فلن يزعجه أيُّ شيء من هذا القبيل
كما تزعجه عاطفة قوية يشعر بها!

وبالرغم من ذلك كله فإن شيرلوك هولمز لم يُعجب قط
بأي امرأة في حياته كلها، باستثناء امرأة واحدة هي أيرين أدلر
ذات الذكري الغامضة.

* * *

تسبب زواجي في ابتعادي عن هولمز بحيث لم أَرَه في الفترة الأخيرة إلا قليلاً، فالسعادة التي تغمر الشخص الذي يجد نفسه لأول مرة سيداً لمنزله الخاص والاهتمامات البيتية الجديدة كانت كافية لتستهلك كل اهتمامي، في حين بقي هولمز (الذي تنفر شخصيته من كل شكل من أشكال العلاقات الاجتماعية) في مسكننا القديم بشارع بيكر، غارقاً وسط سجلاته وكتبه القديمة ومتأرجحاً -من أسبوع لآخر- بين الخمول والكسل تارة وطبيعته الحادة التي تتفجر بالطاقة تارة أخرى.

كان ما يزال -كعاداته- مهتماً بشدة بدراسة الجريمة ومشغولاً بقدراته الهائلة وقوة ملاحظته الاستثنائية في تتبع تلك القضايا الغامضة، التي تخلت عنها الشرطة الرسمية واعتبرتها قضايا ميؤوساً منها. وكنت أسمع -من حين إلى آخر- بعض الروايات المبهمة التي تتحدث عما يفعله، فقد سمعت عن استدعائه إلى أوديسا في قضية قتل ترييوف، وعن حله قضية قتل الإخوة آتكينسون الغريبة في ترينكومالي، وأخيراً عن المهمة التي أنجزها بدقة ونجاح للعائلة المالكة في هولندا. إلا أنني لم أعرف عن صديقي القديم شيئاً غير هذه الأنشطة التي قرأت عنها في الصحافة اليومية مثل باقي القراء.

كنت قد تركت الجيش وبدأت بالعمل في عيادة مدينة. وفي إحدى الليالي، في العشرين من شهر آذار (مارس) عام ١٨٨٨، كنت عائداً من زيارة لأحد المرضى عندما قادني طريقي عبر شارع بيكر، وحين مررت بالباب المؤلف (الذي

سيظل مرتبباً دائماً في ذهني بفترة ما قبل الزواج وبالحوادث الغامضة التي سردت أحداثها في قضية «دراسة في اللون القرمزي» انتابني رغبة شديدة في رؤية شيرلوك هولمز ولقائه من جديد لأعرف كيف يستخدم قدراته الاستثنائية.



Josef Friedrich (1906)

رسم جوزف فريدرتش (١٩٠٦)

كان مسكنه مُضاء، وعندما نظرت إلى الأعلى رأيت الخيال الأسود لهيئته النحيلة الطويلة يمرّ خلف الستارة مرتين. كان يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً بسرعة وحماسة عاقداً يديه خلف ظهره ورأسه مُنحَنٍ على صدره، ولأنني أعرف كل طباعه وعاداته فقد كان لحالته وتصرفاته معنى خاص؛ قدّرت أنه بدأ بالعمل مرة ثانية وانطلق بحماسة خلف أثر لإحدى القضايا الجديدة.

قرعت الجرس، ففتحت لي الباب صاحبة البيت وقادتني إلى الشقة التي سكنت فيها فيما مضى. ولم يستقبلني هولمز بمشاعر فيّاضة، فهو نادراً ما يُظهر مشاعره، ولكنه كان سعيداً برؤيتي على ما أعتقد، فقد ظهر الودّ في عينيه، وأشار إليّ -مع كلمات قليلة- لأجلس على مقعد مريح، وبعد ذلك وقف أمام النار وأخذ يتأملني ويفحصني بطريقته الفريدة.

علّق قائلاً: الزواج يناسبك يا واطسون؛ أعتقد أن وزنك قد زاد ثلاثة كيلوغرامات ومئتي غرام منذ رأيتك آخر مرة. أجبته قائلاً: بل ثلاثة فقط.

- حقاً؟ أظن أن وزنك زاد أكثر من ذلك قليلاً، قليلاً جداً كما أتخيل يا واطسون، وألاحظ أنك رجعت إلى العمل ثانية. أنت لم تخبرني ببيتك في العودة إلى العمل.

- كيف عرفت إذن؟

- رأيت ذلك، استنتجته بنفس الطريقة التي عرفت بها

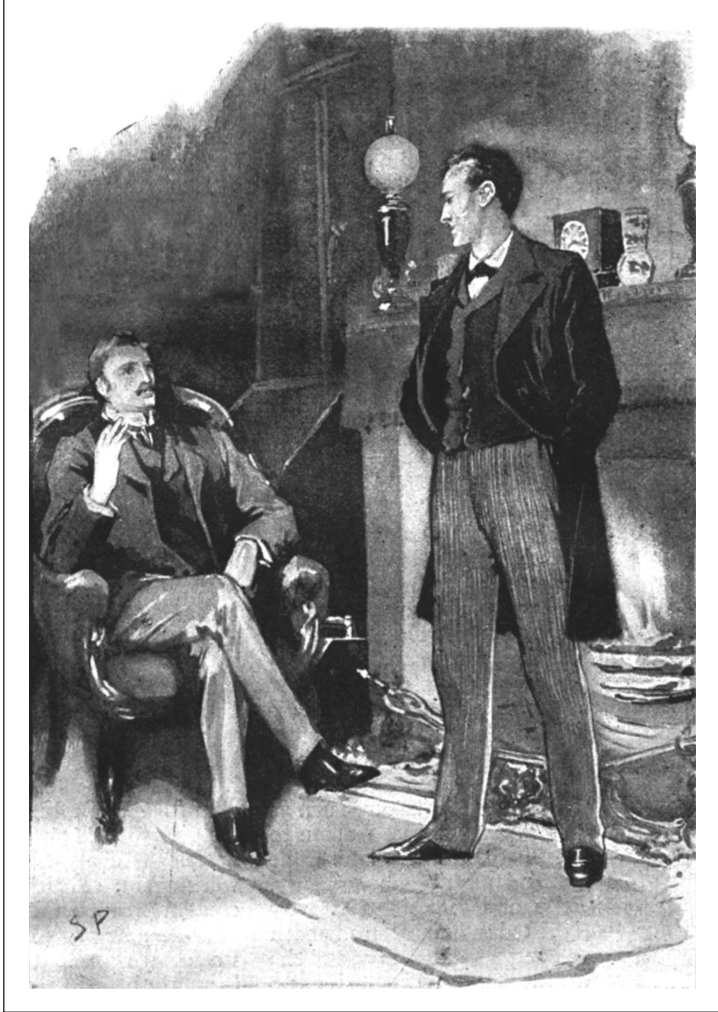
أنك تعرّضتَ مؤخراً إلى البلل الشديد وأن عندك خادمة مهملة خرقاء.

قلت: عزيزي هولمز! هذا كثير، لو كنتَ تعيش منذ عدة قرون لكانوا أعدموك حرقاً بالتأكيد! إنها الحقيقة، لقد كنتَ أتمشى في الريف يوم الخميس وعدت إلى المنزل في حالة مزرية، ولكن لا أستطيع أن أتصور كيف استتجت ذلك وقد استبدلت ملابسني. أما ماري جان فهي غير قابلة للإصلاح، وقد أعطتها زوجتي إنذاراً بترك العمل... وإن كنتَ لا أعرف أيضاً كيف استتجت هذا الأمر!

ضحك بصوت خافت وهو يفرك يديه ثم قال: الأمر في غاية البساطة، فعيناي تخبراني أن جلد الجزء الداخلي من فردة حذائك اليسرى - في المكان الذي تضيئه نار المدفأة تماماً - مخدوش بستة خدوش متوازية تقريباً، ومن الواضح أن من تسبب بها كان يحكّ بإهمال شديد حول حواف النعل لكي يزيل الطين الجاف العالق بها. وهكذا ترى كيف توصلت إلى استنتاجي المزدوج بأنك خرجت في جوّ رديء وأن عندك نموذجاً شديداً السوء من خدم لندن. أما عودتك إلى العيادة فعندما يدخل مسكني شخصٌ محترم تفوح منه رائحة المطهر وعلى سبابته اليمنى علامة سوداء من أثر نترات الفضة وعلى الجانب الأيمن من قبعته الرسمية بروز خفيف يُظهر المكان الذي يخفي فيه سماعته، عندئذ سأكون غيباً إذا لم أقطع بأنه عضو عامل في مهنة الطب.

لم أستطع أن أمنع نفسي من الابتسام بسبب السهولة التي

شرح بها طريقة توصله إلى الاستنتاج، وعلقت قائلاً: عندما أسمع تفسيرك تبدو لي الأمور دائماً في غاية البساطة وكأنني أستطيع استنتاجها بنفسني، مع أنني أبقى حائراً أمام كل مرحلة



Sidney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

من مراحل تحليلك المنطقي المتتابعة حتى تنتهي من شرحها بطريقتك. أعجب كيف يحصل هذا معي رغم أن عينيّ بنفس قوة عينيك!

أجاب وهو يلقي بنفسه على أحد المقاعد المريحة: تماماً؛ أنت ترى، لكنك لا تنتبه لما تراه. والفرق واضح، فأنت رأيت -على سبيل المثال- الدرجات التي تقود من القاعة إلى هذه الغرفة.

- بصفة متكررة.

- كم مرة تقريباً؟

- مئات المرات.

- وكم عددها؟

- كم عددها؟! لا أعرف!

- تماماً، فأنت لم تنتبه وإن كنت رأيت، وهذا يوضح ما أقصده تماماً. أما أنا فأعرف أنها سبع عشرة درجة لأنني رأيت وانتبهت في الوقت نفسه. بالمناسبة، ما دمت مهتماً بتلك القضايا البسيطة، وحيث إنك كنت لطيفاً بما فيه الكفاية لكي تسجّل بعض خبراتي المتواضعة، فقد تكون مهتماً بهذه القضية.

ثم تناول عن الطاولة ورقة سميكة وردية اللون وقدمها إليّ قائلاً: لقد وصلتني هذه الرسالة بالبريد قبل قليل، اقرأها بصوت عالٍ.

لم تكن الرسالة القصيرة مؤرّخة ولا موقّعة، ولم يكن عليها عنوان، وكان فيها:

أرجو أن تتوقع زيارة في الساعة الثامنة إلا ربعاً هذه الليلة. أحد السادة يوّد استشارتك في أمر من الأمور الشديدة السرية، فالخدمات التي قدمتها لإحدى العائلات المالكة في أوروبا أظهرت أنه يمكن ائتمانك على الأمور ذات الأهمية الشديدة بلا خوف، فكنّ إذن في مسكنك في تلك الساعة ولا تنزعج إذا ارتدى زائرٌ قناعاً.

علقت قائلاً: إنه لغز حقاً! ما معنى هذه الرسالة بتصورك؟

- ليست لديّ أي معلومات حتى الآن، ومن الخطأ أن نضع النظريات قبل أن نحصل على المعلومات، فعندها قد نلوي الحقائق لاشعورياً لتناسب مع النظريات بدلاً من العكس. ولكن ماذا عن الرسالة نفسها؟ ما الذي تستنتجه منها؟

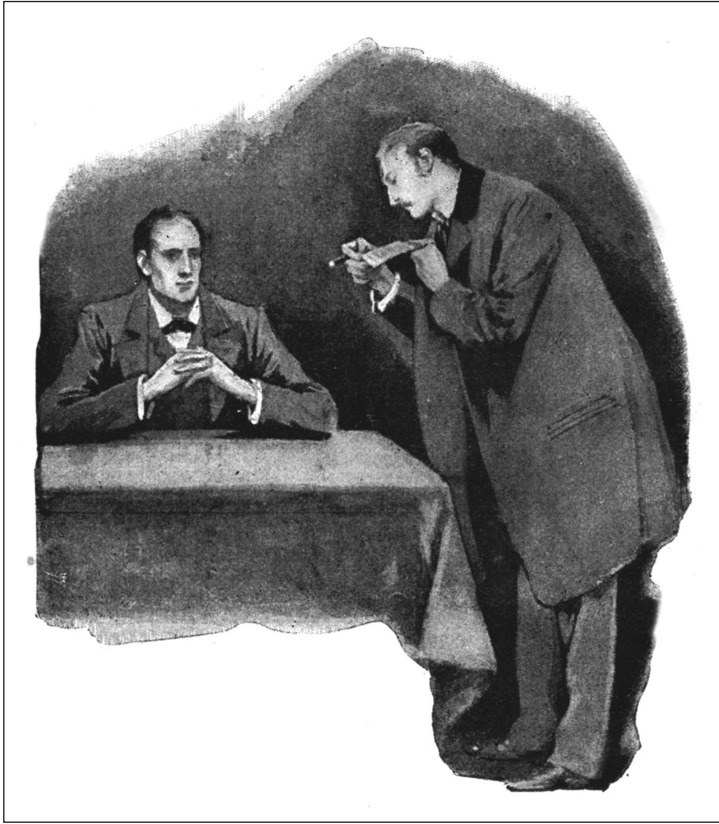
فحصت الخط بعناية وكذلك صنعت بالورقة التي كُتبت الرسالة عليها، ثم علقت قائلاً وأنا أحاول تقليد الطريقة التي يتبعها صديقي: الحالة المادية للرجل الذي كتبها جيدة على ما يبدو، فمثل هذا الورق لا يمكن شراؤه بأقل من نصف كراون للرزمة. إنه ورق متين وصلب بشكل غريب.

قال هولمز: «بشكل غريب»... إنه الوصف المطلوب تماماً، فهذا ليس ورقاً إنكليزياً على الإطلاق. ارفعه إلى الأعلى أمام الضوء.

صنعت ذلك فرأيت العلامات الشفافة التي نُقِشت في
متن الورقة، حرفي غَيْن وياء في جهة منها وحرفي أَلِف و غَيْن
في جهة أخرى.

سأل هولمز قائلاً: ماذا تفهم من ذلك؟

- إنه اسم صانع الورق كما يبدو، أو بالأحرى الحروف
ال مميزة لاسمه.



Sidney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

- لا، أبداً. إن حرفي الغين والياء يرمزان إلى كلمة «غيزيلزُشافت» الألمانية، ومعناها «شركة»، وهو اختصار معروف. أما حرفا الألف والغين فدعنا نبحث في الأطلس الجغرافي لبلدان أوروبا.

سحب مجلداً كبيراً عن أحد الرفوف وقال وهو يقرأ فيه: إغلو، إغلونيتز... ها هي: إغريا. إنها إحدى المقاطعات الناطقة بالألمانية، وهي تقع في بوهيميا "قريباً من كارلُسباد المعروفة بأن فيها العديد من مصانع الزجاج ومعامل صناعة الورق" كما يقول الكتاب. حسناً، ما الذي تفهمه من هذا؟

لمعت عيناه بانتصار، في حين قلت أنا: هذا الورق مصنوع في بوهيميا.

- تماماً، كما أن الرجل الذي كتب الرسالة ألماني. ألا تلاحظ غرابة تركيب جملة؟ لو كان فرنسياً مثلاً لما كتبها بهذه الطريقة، فالألماني فقط هو من يكتب بهذه الفظاظة. وهكذا يبقى أن نكتشف ما الذي يريده هذا الألماني الذي يكتب على ورق مصنوع في بوهيميا ويفضّل عدم إظهار وجهه وارتداء قناع؟ آه، ها هو قد حضر - إن لم أكن مُخطئاً - ليبدد حيرتنا.

بينما كان هولمز يتم جملته سمعنا ديبب حوافر الأحصنة وصرير عجلات تتوقف، ثم تبع ذلك قرعٌ عنيف للجرس، فصفر هولمز وقال: اثنان، حسبما يشير الصوت.

ثم أكمل وهو ينظر من النافذة: نعم، عربة صغيرة لطيفة يجرها اثنان من الأحصنة الأصيلة ثمن الواحد منهما مئة

وخمسون جنيهاً! في هذه القضية مال يا واطسون... حتى لو لم يكن فيها أي شيء آخر.

- لعل الأفضل أن أذهب يا هولمز.

- على الإطلاق يا دكتور، بل ابقَ حيث أنت، فأنا ضائع إن لم تبقَ هنا لتسجل سيرتي، وهذه القضية تبشر بأنها ستكون مثيرة للاهتمام وسوف يكون من المؤسف أن لا تحضرها.

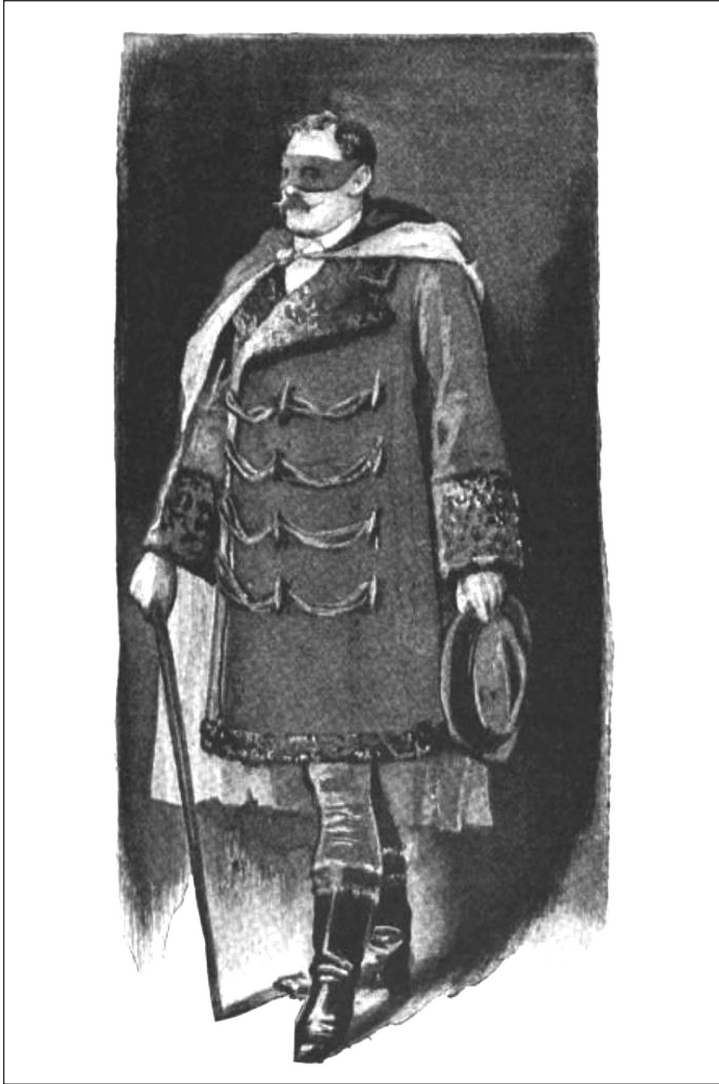
- ولكن عميلك...

- لا تُعِره بالآ، فقد أحتاج إليك، وقد يحتاج هو أيضاً إليك. ها قد جاء، اجلس على ذلك المقعد المريح يا دكتور وانتبه لما سنقوله جيداً.

سمعنا خطوات ثقيلة بطيئة تصعد الدرج ثم تمشي في الرواق لتقف فجأة خارج الباب، وبعد ذلك سمعنا طرقة عالية حازمة، فقال هولمز: ادخل.

دخل رجل ضخيم لا يقل طوله عن مئة وتسعين سنتمراً! كانت ملابسه فخمة، ولكنها فخامة قد يُنظر إليها في إنكلترا على أن صاحبها ذو ذوق سيئ، فقد ارتدى معطفاً ثقيلاً غطت كميته وياقته طبقةً من الفراء السميك، وكانت العباءة الكحلية التي ألقاها على كتفيه موشاةً بخيوط من الحرير الأصفر وقد ثبتت عند العنق بدبوس فيه حجر واحد من الزمرد المتوهج، أما حذاؤه الطويل الذي امتد حتى منتصف الساق وزين طرفه الأعلى بفراء بني فقد أكمل الانطباع بالغنى الذي يوحي به

مظهره كله. وكان يحمل في يده قبعة عريضة ويغطي النصف
الأعلى من وجهه بقناع أسود، وكان من الواضح أنه وضعه



Sidney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

في تلك اللحظة حيث كانت يده ما تزال مرفوعة نحوه عندما دخل، وقد بدا من الجزء السفلي من وجهه أنه رجل ذو شخصية قوية، ذو شاربين كبيرين وذقن عريض يوحى بإصرار قد يصل لدرجة العناد.

سأل بلكنة ألمانية مميزة جداً وبصوت أجش خفيض قائلاً: هل وصلتك رسالتي؟ لقد أخبرتك فيها بحضوري.

ثم أخذ ينقل النظر من أحدنا إلى الآخر كما لو كان غير متأكد إلى من ينبغي أن يوجه حديثه، فقال هولمز: تفضل بالجلوس. هذا صديقي وزميلي الدكتور واطسون الذي يتكرم بمساعدتي أحياناً في قضاياي. هل لي أن أعرف إلى من أتشرف بالتحدث؟

- يمكنك أن تخاطبني باسم الكونت فون كرام، أحد نبلاء بوهيميا. أتصور أن هذا السيد المحترم، صديقك، رجل يتصف بالشرف والتكتم بحيث أستطيع ائتمانه على أمر في غاية الأهمية، ولو لم يكن الأمر كذلك فأنا أفضل التحدث إليك وحدك.

نهضت لأغادر، ولكن هولمز أمسك بمعصمي وأعادني إلى مقعدي قائلاً: كلانا أو لا أحد! يمكنك أن تقول أمام هذا السيد المحترم كل ما يمكنك قوله أمامي.

رفع الكونت كتفيه العريضتين وقال: إذن لا بد أن أبدأ بأن أزمكما بالكتمان التام لمدة عامين، ففي نهاية هذه المدة لن يكون للأمر أهمية، أما في الوقت الحاضر فليس من المبالغ

به أن نقول إن له من الأهمية ما قد يؤثر في تاريخ أوروبا كلها.

قال هولمز: أعدك.

وقلت: وأنا أيضاً.

استمر الزائر الغريب قائلاً: أرجو أن لا يضايقك ارتدائي هذا القناع، فالشخص العظيم الذي وظفني يود أن يظل وكيله مجهولاً بالنسبة لك، ويجب أن أعترف لك في الحال بأن اللقب الذي سميتُ به نفسي الآن ليس اسمي في الحقيقة.

أجاب هولمز بهدوء: هذا ما أدركته.

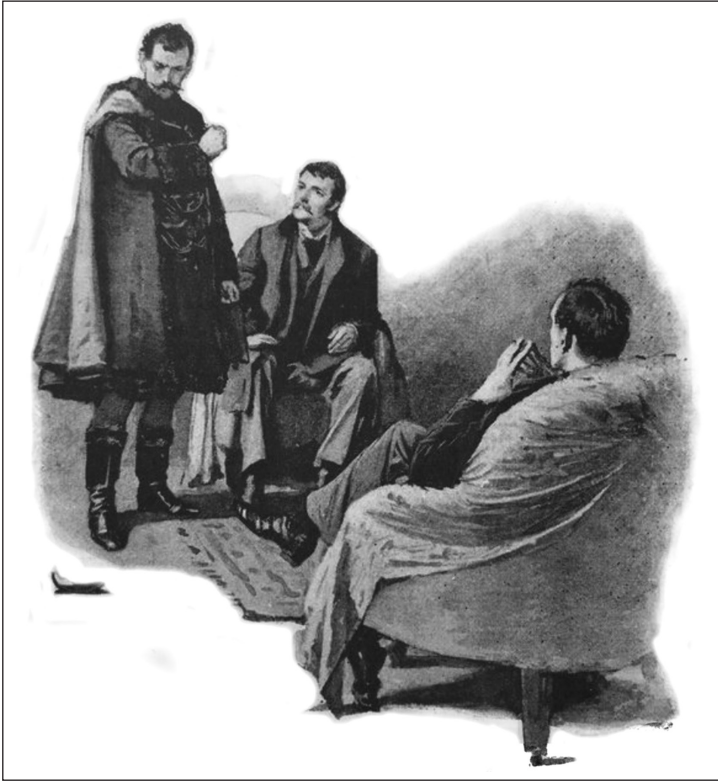
- إن الملابس شديدة الحساسية، ولذلك يجب اتخاذ كافة الاحتياطات حتى نوقف ما يمكن أن يتحول إلى فضيحة هائلة ويعرض إحدى العائلات الحاكمة في أوروبا إلى التشهير. وبصراحة فإن الأمر يمس عائلة أورمشتاين العظيمة، العائلة الحاكمة في بوهيميا.

غمغم هولمز قائلاً وهو يسترخي في كرسيه المريح ويغمض عينيه: أدركت ذلك أيضاً.

نظر زائرنا بدهشة واضحة إلى الهيئة المتكاسلة الفاترة الهمة للرجل الذي وُصف له -بلا شك- على أنه المحلل الأكثر دقة والمحقق الأكثر نشاطاً في أوروبا. فتح هولمز عينيه ثانية ونظر بنفاد صبر إلى عميله الضخم ثم علق قائلاً: لو تكررمت جلالتك بعرض قضيتك لاستطعت تقديم النصيح لك بشكل أفضل.

هَبَّ الرجل واقفاً من مقعده وأخذ يقطع الغرفة ذهاباً
وإياباً بانفعال جامح، ثم نزع القناع عن وجهه بحركة يائسة
وألقى به إلى الأرض وصاح قائلاً: أنت على حق... لماذا
أحاول إخفاء الأمر؟

غمغم هولمز قائلاً: لماذا بالفعل؟ فقد أدركت قبل أن
تتحدث جلالتك بأنني أخاطب ويلهلم غوتسرايخ سيجموند
فون أورمشتاين، ملك بوهيميا ودوق فيلشتاين الأعظم.



Sidney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

قال زائرنا الغريب وهو يجلس مرة أخرى ويمرر يده على جبهته الشامخة الشاحبة: يمكنك أن تفهم... يمكنك أن تفهم أنني لم أعتدّ تنفيذ مثل هذه الأمور بنفسني. ولكن الأمر دقيق جداً، لذلك لم أستطع أن أتتبع عليه وكيلاً دون أن أضع نفسي تحت رحمته. وهكذا فقد جئت مستتراً من بُراغ بغرض استشارتك.

قال هولمز وهو يغمض عينيه ثانية: فلتستشِرني إذن.

- الوقائع باختصار هي أنه منذ نحو خمس سنوات وفي أثناء سفرة طويلة في وارسو تعرفت إلى مغامرة معروفة اسمها إيرين أدلر... هذا الاسم مألوف عندك بلا شك؟

غمغم هولمز دون أن يفتح عينيه: أرجو أن تبحث عنها في دليل الشخصيات يا دكتور.

لقد تبع هولمز لسنوات طويلة نظاماً لإدراج كل المقالات التي تتعلق بالأشخاص والأشياء، بحيث لا يكاد يُذكر اسمٌ أو موضوع دون أن يتمكن من العثور على معلومات عنه في الحال. وفيما يتعلق بهذه السيدة فقد وجدت تعريفاً بها هذا نصّه: "وُلدت عام ١٨٥٨، مغنية أوبرا، كانت المغنية الأولى في الأوبرا الملكية في وارسو، وقد اعتزلت المسرح الأوبرالي، وهي تعيش في لندن".

قال هولمز: آه، حسناً، لقد تورطت جلالتك - كما أقدر - مع هذه الشابة وكتبتَ لها بعض الخطابات المثيرة للجدل، وأنت الآن متلهّف على استعادة هذه الخطابات.

- تماماً، ولكن كيف...؟
- هل عُقد زواج سرّي؟
- لا.
- هل في يدها أية أوراق أو شهادات رسمية؟
- لا.
- أنا عاجز عن فهم جلالتك، فلو أبرزت الشابة خطاباتها للابتزاز أو لأغراض أخرى فكيف ستثبت صحتها؟
- من الخط.
- هراء، يمكن الطعن بأنه مزوّر.
- والأوراق من مذكرتي الشخصية.
- ستقول إنها مسروقة.
- وماذا عن ختمي الخاص؟
- مقلّد.
- وصورتي؟
- اشترتها.
- لقد كنا في الصورة معاً.
- آه، يا إلهي! هذا سيّء جداً! لقد ارتكبت جلالتك حماقة كبيرة.
- كنت مجنوناً، فقدتُ عقلي.

- لقد عرّضت نفسك للشبهات بشكل خطير.
- كنت ولياً للعهد في ذلك الوقت. كنت صغيراً في السن، وأنا الآن في الثلاثين من عمري.
- يجب استعادتها.
- لقد حاولنا وفشلنا.
- عليك أن تدفع، لا بد من شراء الصورة.
- لكنها لن تبيع.
- فلتُسرق إذن.
- جرت خمس محاولات فاشلة. استأجرتُ لصوصاً فتشوا منزلها مرتين تفتيشاً دقيقاً، واستولينا ذات مرة على أمتعتها عند سفرها، كما قُطع عليها الطريق مرتين، ولكن بلا فائدة.
- ألم تعثر لها على أثر؟
- لا أثر على الإطلاق.
- ضحك هولمز وقال: يا لها من مشكلة بسيطة ظريفة!
- رد عليه الملك مؤنباً: ولكنها في غاية الخطورة بالنسبة لي.
- في غاية الخطورة بالفعل. وما الذي تنوي هذه الشابة أن تفعله بالصورة؟
- إنها تنوي تدميري.

- ولكن كيف؟

- أنا على وشك الزواج.

- هذا ما سمعته.

- سأتزوج كلوتيلد لوثمان فون ساكس ميننغن، وهي الابنة الثانية لملك سكندنافيا. قد تكون مطلعاً على التقاليد الصارمة لعائلتها، كما أنها تتميز بالرقّة الشديدة، فلو أُلقيت ظلال من الشك حول تصرفاتي فسوف ينهار الزواج.

- وأيرين أدلر؟

- هددت بإرسال الصور لتلك العائلة، وستفعل ذلك... أنا أعرف أنها ستفعل. أنت لا تعرفها، إنها تملك إرادة من حديد، إنها تملك وجه أجمل النساء وعقل أكثر الرجال تصميماً، وما دمْتُ سأتزوج بامرأة أخرى فلا حدٍ لما يمكن أن تفعله، لا حدّ.

- وهل أنت متأكد أنها لم ترسلها بعد؟

- نعم، متأكد.

- لماذا؟

- لأنها قالت إنها سترسلها عند إعلان الخطوبة رسمياً، وسيكون ذلك يوم الإثنين المقبل.

قال هولمز وهو يتشاءب: حسناً، ما زالت أمامنا ثلاثة أيام إذن. هذا من حسن الحظ، فيجب أن أتقصى عن بعض الأمور

- المهمة أولاً. بالطبع جلالتك مقيم في لندن حالياً؟
- بالتأكيد؛ ستجدني في فندق لانغهام باسم الكونت فون كُرام.
- سأرسل إليك رسالة قصيرة لأطلعك على التطورات.
- أرجو أن تفعل ذلك، فسوف أكون في غاية القلق.
- حسناً، وبخصوص المال؟
- لك مطلق الحرية.
- بلا حد أقصى؟
- أؤكد لك أنني على استعداد للتنازل عن إحدى مقاطعاتي في سبيل الحصول على تلك الصورة!
- وماذا عن النفقات الحالية؟
- أخرج الرجل من تحت عباءته حقيبة ثقيلة من الجلد فوضعها على الطاولة قائلاً: في الحقيبة ثلاثمئة جنيه ذهبي وسبعمئة جنيه ورقي.
- حرر هولمز إيصالاً على إحدى أوراق مفكرته وأعطاه له، ثم سأل قائلاً: وما عنوان الأنسة؟
- اسم بيتها «بريوني»، وهو في طريق سيربنتاين.
- كتب هولمز العنوان ثم قال: بقي سؤال واحد؛ هل كانت الصورة صغيرة بحجم الجيب أم من الحجم الكبير؟

- بل من الحجم الكبير الذي يُعدّ للتعليق على الجدار.

- حسناً، أتمنى لك ليلة سعيدة يا جلالة الملك، وأنا واثق أننا سنحمل لك أخباراً سعيدة قريباً.

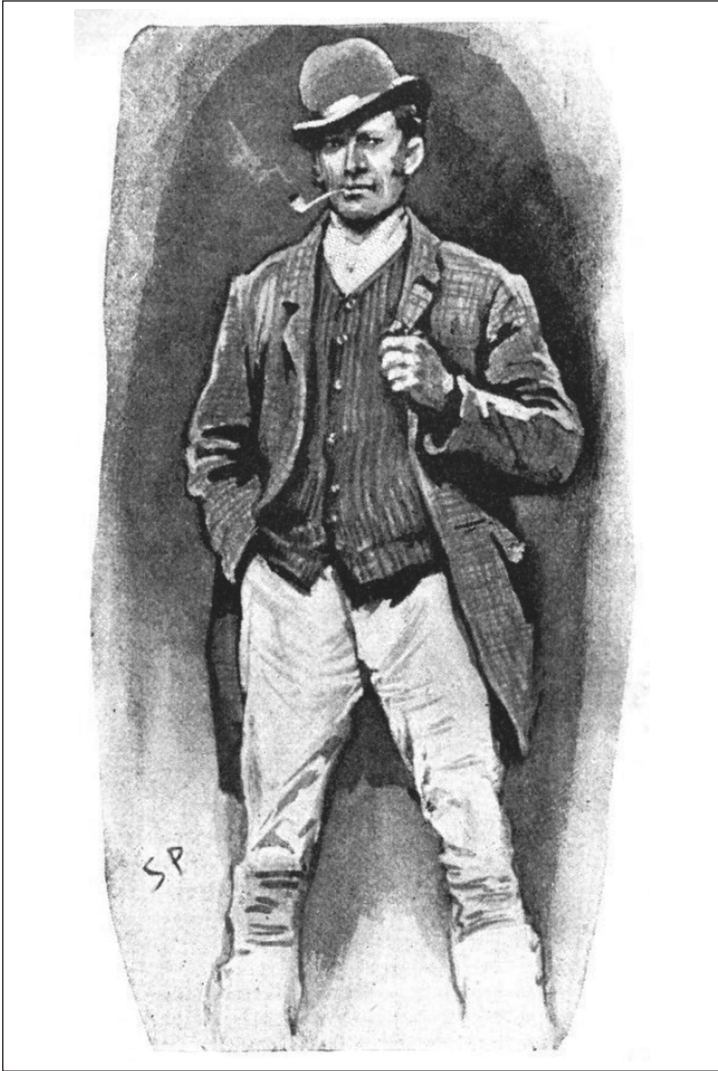
ثم قال لي: وليلة سعيدة لك أيضاً يا واطسون.

ثم أضاف قائلاً عندما انطلقت العربة الفاخرة في طريقها: لو تكرمت بالحضور بعد ظهر يوم غد في الساعة الثالثة فسوف أناقش هذه القضية البسيطة معك.

* * *

كنت في شقتنا بشارع بيكر في الساعة الثالثة تماماً، ولكن لم يكن هولمز قد عاد بعد، وأخبرتني صاحبة المنزل أنه قد غادر بعد الثامنة صباحاً بقليل. جلست بجوار النار وفي نيتي أن أنتظره مهما طال غيابه، فقد جذبت هذه القضية اهتمامي بشدة، فبالرغم من أنها لم تكن محاطة بالعناصر الكئيبة والغريبة التي رافقت الجريمتين اللتين سجلتهما من قبل إلا أن طبيعة القضية ومكانة عميله الرفيعة أكسبتا التحقيق سمة مميزة. وبعيداً عن طبيعة التحقيق الذي يعمل فيه هولمز فأنا أجد في فهمه البارع للموقف وفي تحليله المنطقي الحاسم ما يجعلني أستمع بدراسة أسلوبه في العمل وتتبع طرقه الدقيقة السريعة التي يستخدمها في حل القضايا الأكثر تعقيداً، وقد اعتدت على نجاحه الدائم حتى إن إمكانية تعرضه للفشل لم تُعدّ تخطر على بالي.

كانت الساعة قد قاربت الرابعة حين فُتح الباب ودخل
سائس يترنح كالمخمور، وقد كان وجهه أحمر وملابسه مُشينة



Sidney Paget (1891)

رسم سدني باجيت (١٨٩١)

وشعره مشعثاً. ومع أنني معتاد على قدرات صديقي المذهلة في استخدام التنكر إلا أنني اضطررت إلى النظر ثلاث مرات قبل أن أتأكد من أنه هو بالفعل!

أوماً لي ثم اختفى داخل غرفة النوم، وبعد خمس دقائق خرج من الغرفة وهو يرتدي حُلَّة نظيفة، وقد عاد شكله جديراً بالاحترام كعادته. وضع هولمز يديه في جيبيه ومدَّ ساقيه أمام النار، ثم أخذ يضحك بحرارة لبضع دقائق، وأخيراً صاح قائلاً: جيد... الأمر جيد حقاً.

ثم غَصَّ وأخذ يضحك ثانية حتى اضطرَّ إلى الاستلقاء في مقعده منهكاً، فسألته: ما الأمر؟

- الأمر مضحك جداً. أنا متأكد أنك لن تستطيع تخمين الطريقة التي قضيت بها صباحي ولا ما فعلته في النهاية.

- لا أستطيع التخيل، فأنا أفترض أنك كنت تراقب الأنسة أيرين آدلر، وربما منزلها أيضاً.

قال: تماماً، ولكن النتيجة كانت غير عادية. سأخبرك بالأمر على أية حال. لقد غادرت المنزل بعد الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم بقليل وأنا متنكر بشخصية سائس عاطل عن العمل، فالذين يعملون بالخيل ينشأ بينهم تعاطف رائع ومشاركة وجدانية، وحين تتنكر في هيئة واحد منهم فسوف تعرف كل ما تريد معرفته. وجدت بيت بريوني بسهولة، وهو دارة صغيرة لها حديقة خلفية، أما في المقدمة فطابقان مُطلَّان على الطريق مباشرة، وعلى الباب قفل ضخم، وعلى اليمين

غرفة جلوس واسعة مفروشة بعناية ذات نوافذ طويلة تكاد تصل إلى الأرض، ومقابضها من النوع الإنكليزي السخيف الذي يستطيع حتى الطفل فتحه! لم أجد في الجهة الخلفية ما يستحق الملاحظة، عدا الطريق الذي يمكن دخول النافذة من خلاله والذي يقع فوق حظيرة العرب، وقد سرت حول المكان وفحصته عن قرب من كل الاتجاهات دون أن ألاحظ شيئاً آخر ذا أهمية. ثم مشيت متسكعاً حتى نهاية الشارع، فوجدت - كما توقعت - مجموعة من الإسطبلات في ممر يمتد على طول أحد جدران الحديقة. وقد ساعدت سائسي الخيل في تنظيف خيولهم فحصلت - بالمقابل - على بنسين وحشوتين من التبغ الخشن، بالإضافة إلى كل ما أريده من معلومات عن الأنسة أدلر. هذا عدا عن السيرة الذاتية لنصف دستة من الأشخاص المقيمين في الجوار، والتي اضطرت إلى الاستماع إليها بالرغم من أنها لا تهمني على الإطلاق.

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل
أن تكون قد استمتعت بقراءة جزء من هذه
المجموعة القصصية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذا الكتاب
(وسواء من الإصدارات) من موقعنا مباشرة،
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com